حوار مع آية الله التسخيري رئيس المجلس الاعلى للتقريب بين المذاهب الاسلامية



يعيش العالم الاسلامي حالة رجوع الى الهوية الاسلامية بعد غفوة وغفلة استمرت عقود من الزمن واليوم نشاهد انتفاضة الشعوب ضد الطغاة والدكتاتوريات التي سلطها الاستعمار على رقاب المسلمين وقد انتجت الثورات الاسلامية والشعبية سقوط عدد من الانظمة العميلة والمستبدة وهي مستمرة بشكل وآخر من اجل تحقيق العدالة والحرية وحاكمية الامة وفق مبادئ السماء والشريعة الاسلامية المنسجمة مع الفطرة الانسانية لتؤكد أن للحق دولة وللباطل جولة وأن المستضعفين هم الحاكمون بالنهاية كما قال رب العزة والجلال:(وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ...) و بعد مرور عقد من الزمن على تولي سماحة آية الله التسخيري أمانة عام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية؛استعرضنا في لقاء ودي بعض ماخفي على كثيرين من الجهود المبذولة والمصاعب المنهكة والآمال المبشرة بالخير في مسيرة التقريب الى يومنا هذا وقد تطرق سماحته اليـ؛ أهم انجازات الحركة التقريبية المعاصرة وما واجهته من تحديات وموانع شائكة،قبل انتصار الثورة الاسلامية في ايران،والنتائج الباهرة لهذه المسيرة بالخصوص بعد اقامة المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية شاكرين سماحته اتاحة الفرصة وسعة الصدر وصراحة القول وحسن الإجابة.

صاحب السماحة لو سمحتم نودالحديث في هذا اللقاء حول محورين اساسيين، المحور الاول يتعلق بحركة التقريب المعاصرة في القرن الاخير و المحور الثاني حول نشاط المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلاميةفي الفترة الاخيرة.

بالنسبة الى حركة التقريب المعاصرة نتمنى أن نعرف ماهي الدوافع و الاسباب التي دعت المصلحين الصلحاء في القرن الاخير ان يتحركوا ـــ في ظروف قاسية و بالقوة والارادة الصلبة المذكورة تاريخيا ـــ لترويج هذه الفكرة اي الفكرة التقريبية و أيضا ماذا هو القصد من التقريب وأي معنى كان يسعى لترسيخه هولاء من الفكره التقريبيه في اوساط الأمة الاسلامية؟

• آية ا التسخيري:

بسم ا الرحمن الرحيم

اتصور ان الدوافع تكمن في عنصرين متكاملين، العنصر الاول هو ان الثقافة الاسلامية في مجموعها ثقافة قرآنية وروح التشريعات الاسلامية كلها تركز على وحدة الامة. القرآن الكريم سلك مختلف السبل لتحقيق هذه الوحدة. خاطب الامة كلها بخطاب واحد و عين لها محور وحدتها و هو ما نفهمه من الآية الكريمة " وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا... " حبل ا ما نفهمه هو الطريق الموصل قطعاً الى ا.

يتجلى في القرآن الكريم باعتبارة كتاب اللة تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لامن خلفه و هو ايضا السنة النبوية الشريفة التي توصل الى ا تعالى و هو ايضاً سيرة المعصومين من اهل البيت فهم السبل لمعرفة الاسلام و بالتالي سبل مضمونة الوصول الى ا تعالى و حبل ا كل طريق يوصل الى

ا تعالى بالحد الاعلى، فالقرآن الكريم يطلب من الأمة ان تلتف جميعها حول هذا الحبل و تسلك هذا الطريق و هو من جهة ايضاً قد ذم التفرقة ذماً شديداً،إن القرآن الكريم يقول بعد آية الاعتصام " وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ..." اذاً التفرقة هي كفر، هي عذاب، هي انحراف عن سبل ا تعالى و في آية اخرى يجعل التفرقة عذاباً افقياً يقابل العذابات النازلة على الانسان من السماء و من تحت ارجلهم. الآية تقول " قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ. فإلالباس و التلبيس شيعاً يعني التمزيق و التفريق الي شيع و اقسام. وكما ذكرت لقد اتبع القرآن شتى الطرق للدعوة الى الوحدة،و من السبل التي سلكها القرآن لهذا المعنى تذكره بأن الأعداء اتحدوا ضدكم رغم ان قلوبهم متنافرة.

فالقرآن يصرح " وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٍ"، " وقوله" الا تفعلوا" يعني ان لم تقيموا فيما بينكم ولاية مشتركة و ترابطا ولائياً مشتركاً ، ان لا تفعلوا تكن فتنة و فسادا في الارض، سوف تغرقون في الفتنة و الفساد الكبير. انا لا اريد ان استعرض كل الآيات الواردة فى هذا المجال.

وأما النبي العظيم (ص) بدأ بخطوات الوحدة،منذ انتقاله الى المدينة، اقام المسجد، جعل الاذان، ميز المسلمين بقبلة مستقلة عن قبلة اهل الكتاب طبعاً بأنباء من ا تعالى و ركز على الاخوة الاسلامية بشكل دقيق حتى كان المومن يرث اخاه المومن الى أن نزلت الآية القرآنية التي تجعل محور الإرث هو قضية الرحم، " وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ ..." إذاً النبي الكريم أكد على الوحدة و اهل البيت عليهم السلام اكدوا على الوحدة،هنا اريد التأكيد على أن ثقافة التشريع الاسلامي تؤكد على الوحدة ،عندما نجد أن حقوق المسلم على المسلم واحدة و عندما نجد ان مسؤولية المسلم تجاه الآخرين واحدة وخطاب التشريع الاسلامي كله يتجه للأمة كلها،وروح التشريع ايضاً روح واحدة، بعد كل هذا، فالوحدة اذاً مطلب اسلامي عظيم، و الأمة الاسلامية ان لم تكن موحدة فإنها تفقد خصائصها القرآنية، هذا هو العامل الأول "ان الثقافة الدينية كلها هي ثقافة الوحدة" وان قضية التقريب بين المذاهب هي في الواقع سبيل من سبل تحقيق هذه الوحدة لأن التوافق الفكري مقدمة للإنسجام

العملي وعندما نقول التقريب الفكري لأننا لانستطيع ان نقول الوحدة الفكرية،حيث لايمكن ان تتحد الأفكار و لا ان لا تختلف قيد أنملة هذا امر مستبعد جداً بإختلاف زوايا النظر وبإختلاف اسلوب الإستنباط وما الى ذلك فنقول التقريب يعني التركيز على المشترك وتوسعته عبر الحوار المنطقي والتعاون في تطبيق المساحات المشتركة واذا بقيت خلافات وهي باقية فيعذر بعضنا الآخر في ذلك. فالتقريب سبيل من سبل الوحدة الاسلامية ،وهذا هو الداعي الأصيل و الأول.

طبعاً هناك دواعي أخرى للتركيز على قضية الوحدة الاسلامية هذه الدواعي يمكن القول ان بعضها سياسي بعضها مصلحي وان بعضها حالة فطريةو طبيعية فمن الطبيعي الذين يعتقدون بطبيعة واحدة و يسلكون سلوكاً واحداً، شكلوا مجتمعاً واحداً بالاضافة إلى حالة الإصطفاف الذي يملكه الأعداء ضد الأمة،فانه يدفع الأمة لأن توحد جهودها لمقابلة التحديات و يتأكد هذا اذا كانت الأمة تمتلك مثلاً عمليا في اهدافها فالقرآن عندما يجعل الأمة الاسلامية خير أمة اخرجت للناس وعندما يجعلها الأمة الوسط والشاهد حضارياً على الامة، تحقيق هذه الاهداف لا يمكن ان تتم بدون وحدةالامة. هذه الاهداف والدوافع يمكن القول انها ثانوية لتحقيق الدافع نحو الوحدة الاسلامية.

• التحرير:

كما تفضلتم سواء كانت الدوافع و الأسباب أولية أو ثانوية كلاهما تبدو كأنها من بديهيات الثقافة الاسلامية مع العلم أن الذين قادوا حركة التفرقة والتمزق ليسوا من الجاهلين بهذه الثقافة،إذاً ماهي الأسباب التي جعلت هؤلاء يغفلون عن بديهيات وعن ضروريات الفكر الاسلامي و ضروريات المنطق و الخطاب القرآني، ما هي الأمور التي جعلت هؤلاء أن يبتعدوا عن هذا المنطق خلال هذه القرون التي سلفت وكما تعرفون بأن هذه التفرقة كلفت المجتمع الاسلامي أن يتكبد خسائر كبيرة في الأنفس و الدماء و الأرواح و الأموال و الثروات وحتى في الفكر مما ادى الى كتابة ونشر و طباعة كثير من الكتب التى ولدت العداء والضغينة بين المسلمين وجرّت المجتمع الاسلامي الى التمزق والتفرق، مع وضوح و بديهية هذا الخطاب لماذا هذا التفرق والتمزق خلال قرون الماضية؟

•

اني اعزو هذا الى دوافع اخرى ايضا. هناك دوافع سياسية قد تصل الى الحد الذي ينسى فيه المسلم، هذه الثقافة الوحدوية للاسلام وهناك دوافع مصلحية شخصية، وتكتل و تحزب دعى الى هذا المعنى،و هناك دوافع في الواقع فكرية. هذه الدوافع الفكرية ايضا تدعو الى انعزال الانسان المسلم عن اخيه المسلم بحيث يخرجه من دائرة الاسلام.من جملة هذه الدوافع الفكرية،كان يتصور احدهم ان من لوازم قول بعض الجماعات بالشفاعة مثلا الشرك و قول بعض الفرق بالتوسل بالصالحين يستلزم الشرك بالله تعالى او من لوازم اي فكرة اخرى الكفر وان ذلك يترتب على هذا التصور ، تصورات ثانويه اخرى فيقول ما دام يقول بهذا القول فهو اذاً مشرك واذا كان مشرك فهو خارج من الامة واذا كان خارجا كان واجبا عليه قتاله وحينئذ تحدث هذه النزاعات السخيفة، و حصول هذا الحالة الانحرافية .

إن من اصول التقريب ان لانحاسب الانسان على لوازم قوله، لان الانسان قد لايلتزم بهذه الملازمة،لان الانسان عندما يعتقد بالشفاعة فهو قدلايلتزم بهذه العلاقة اللزومية وبالعكس قد يرى ان الشفاعة حالة توحيدية و التوسل حالة توحيدية وكما ان هناك خلاف في قضية الصفات لدى العلماء وهل تضاف الى الذات الالهية او عين الذات، القائلون بالوحدة ينطلقون من مفهوم توحيدي والقائلون بالغيرية ايضا ينطلقون من مفهوم توحيدي، القائلون بالغيرية يعتقدون ان عدم اثبات الصفات الالهية يعني تعطيل العمل الالهي وهذا يعني أن الذات الالهية ليست فاعلة، والقائلون بتوحيدها، يعتقدون ان القول بالوحدة يعني ان الذات مؤثرة بنفسها مؤثرة دون ان يضاف اليها صفة اخرى، لااريد ان ادخل في هذه النزاعات،ولكن اريد الاشارة الى ان المختلفين قد ينطلقون من منطلق اللوازم، و كل منهما يصف الاخر بلوازم شركية فالقائلون بوحدة الذات و الصفات يقولون جعلتم لله صفات قديمة وركبتموهاعلى الذات الالهية البسيطة وهي لاتقبل التركيب فالقول بهذا المعنى يعني انكار الذات الالهية يعني الالحادو الشرك، و اما القائلون بالتركيب يستدلون بطريقة اخرى يتهمون الطرف الآخر بالشرك والالحاد وفقا لمستلزمات موحدة للذات والصفات والتي تفقد الفاعلية من الذات الالهية. اريد ان اقول لا يمكننا ان نكفر الانسان بلوازم قوله لانه قد لايلتزم بالملازمه وعندما لايؤمن بالملازمة لايخرج عن الطاقم التوحيدي. فمن الاشياءالخطيرة هي ان يبدأ الانسان بتكفير من يخالفه باعتبار ان من لوازم عقيدته الكفر ثم يحاسبه عليها.

تماما هي قضية البدعة؛ البدعة ما خالف الكتاب والسنة عندما يختلف عالمان في قضية ما في الواقع يرى كل واحد الطرف الآخرعمل خلاف الكتاب السنة وفق اجتهاده فيبدأ الآخر بتبديعه ايضا ويقول انت خلاف الكتاب والسنة .

ومن الدوافع لايجاد الموانع و التفرقه او الدافعة للتفرقة ، الاهانة وهي لها دوافع عاطفية سلبية عند ما يبدأ مذهب في اهانة رموز المذهب الآخر فيرد الآخر بعاطفية سلبية ، يهين المذهب الآخر وهلما جرا ، فتبدأ عناصر التنافر والتباعد تتعامل في مابينها ويحصل الشقاق والنزاع. اذا اردنا ان نلخص هذه العوامل يجب ان نقول ان هناك عوامل داخلية ذكرنا قسما منها وعوامل خارجية،اما العوامل الخارجية هي؛ المؤامرات التي يقوم بها اعداء الامة للتفريق واستغلال هذه الفرجات ومن العوامل الداخلية ايضا تحويل الخلافات السياسية الى خلافات اجتماعية ومسئلة تأثير المصالح و قد شاهدنا ان الحكومات على مدى التاريخ الاسلامي عملت على تمزيق الشعوب و تحريك المذاهب ضد بعضها لمصالح شخصية للحكام وهناك دوافع كما قلنا فكرية منحرفة ... هذه مجمل العوامل التي تأدي الى ان الانسان ينسى ذلك الهدف الكبير او أن يعتقد أن من واجبه أن يفرق و يطرد الآخر لتبقى العقيدة نظيفة ويبقى المجتمع الاسلامي نظيف من وجهة نظره وبالتالي تتمزق الامة.

• التحرير:

بالنسبة الى آثار هذه الحركة التقريبية التي انطلق منها العلماء و الرواد التقريبيون في القرن الأخير حتى انتصار الثورة الاسلامية وبالاحرى قبل تأسيس المجمع العالمي للتقريب المذاهب الاسلامية اود ان اعرف ما هي ثمار هذه الحركة و هل استطاعت ان توجد تغييراً في اوساط المجتمع و ماهي اهم المحطات التي يمكن ان يشير الانسان اليها في مسيرة هذه الحركة التقريبية.

• آية ا التسخيري:

جذور الحركة التقريبية موجودة في الاصول و النصوص الاسلامية، القرآنية والحديثية وفي سلوكات القادة، بكل وضوح،إن الاسلام عيّن حدوداً واضحة وبيّنة، لأن الاسلام بينات، الآية القرآنية تقول:« شَهْرُ

رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ »

بينات وقواعد بيّنة وواضحة وفيها كل الهدى و فيها كل التفريق بين الحق والباطل، الاسلام رسم دائرة واضحة المعالم و بيّنة الاقسام و وضّح الاصول التي من آمن بها دخل في دائرة الامة و من رفض بعضها خرج من دائرة هذه الامة؛ التوحيد، الايمان بالنبوة الايمان بكل ما اخبر به النبي من الاصول المتفق عليها القرآن و السنة المعاد وكل التعليمات الاسلامية الثابتة. أيّ ُ انكار لها يعني انكار النبوة، و انكار النبوة يعني انكار الوحي الالهي و التوحيد الالهي، هذه الاصول المعروفة من آمن بهادخل في اطار الأمة و من انكر بعضها كأنه انكر كلها، وخرج من هذه الامة . فمن جهة حدّد الدائرة، وبعد ذلك في داخل الدائرة، فسح المجال لاختلاف الآراء ، اختلاف الآراء مسموح به شرعاً وفق الضوابط. الاسلام قرر ان الاجتهاد حر، الاسلام قرر الحوار لمن يمكن له منطقياً وفي القرآن اعظم نظرية للحوار المنطقي الانساني، الاسلام قرر العقلانية في التخاطب، ورفض التعصب والغضب و التعسف والجدل العقيم و فسح المجال لاختلاف الآراء. ليست لدينا آية ولاحديث ولانص يقول لاتختلفوا في الآراء، النهي كله منصب على النزاع العملي والاختلاف الذي يؤدي الى النزاع العملي.اذاً الدائرة محددة للامة، الدخول فيها واضح و الخروج منها واضح و ليس الاختلاف النظري مؤدياً للخروج من هذه الامة الا اذا تم انكار تلك الاصول. فمسئلة التقريب مسئلة موجودة في الثقافة الاسلامية أعني الى جانب كل هذه الامور هناك تربية للانسان على ان يكتشف المشترك مع الآخر عندما تقول الآية "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ ..." تعني ان نتفق على الاصول، على القواعد الكبرى وتبقى الخلافات جانبية.

هذه الثقافة، غير مخصصة مع اهل الكتاب فقط بل مع كل انسان، لو اشترك انسان معنا في عقيدة واحدة أوفي نظرة واحدة ويكون تركيزنا على هذه النظرة الواحدة النافعة للمجتمع لعقدنا معه الحوار و اتخذنا منه هذ الموقف.

اذاً انا اعتقد التقريب له جذوره في الاصول الاسلامية لكنه كحركة علمائية منظمة بدأ في منتصف القرن العشرين، لاانسى أن اقول ان تعامل العلماء على مرّ التاريخ في ما بينهم كان تعاملا تقريبياً فاختلف الكثيرون مع الامام الصادق(ع) ولكنهم كانوا يجلّونه غاية الاجلال لقد كان الامام ابو حنيفة يفتخر

بسنتين تعلم فيها على يد الامام الصادق والامام مالك كان يفتخر بتتلمذه على يدالامام الصادق والامام الشافعي يقول الشعر حبا و عشقاً باهل البيت، والامام احمد بن حنبل نقلت عنه تجليلات رائعة في حق اهل البيت حتى أن ابنه عبدا يقول كنا نتحدث في قضية الخلافة والامام علي هل كان يليق بها ام لا يليق، فخرج علينا ابي و قال "مالكم ان الخلافة لاتزن علياً و لكن علي زانها" .

وقد نقل الامام احمد بن حنبل الكثير من احاديث الغدير في موطئه، هؤلاء كانوا يختلفون مع ائمة اهل البيت في مواقفهم و لكن يجلونهم، فالاختلاف الفكري لايمنع عن التجليل و الاكرام.

نقول ان التقريب كان جارياً بين عقلاء العلماء على مدى التاريخ وهناك حديث مفصل في هذا الموضوع، لكن كحركة منظمة جاءت في اربعينيات القرن العشرين حيث اجتمع العلماء من الشيعة والسنة، شيوح الازهر وعلماء قم و النجف وقاموا بهذه الحركة المباركة وكان عملهم وجهدهم مشكوراً فاصدروا سلسلة رسالة الاسلام، صدرمنها ستون عدد ونشرت الثقافة التوحيدية والتقريبية وقاموا بطبع بعض الكتب من قبل المذاهب المختلفة وافتوا بشرعية المذاهب الخمسة و قاموا باعمال عل الساحة العامة في الحج وامثال ذلك . واتخذواخطوات تقريبية جيدة لكن مع الاسف في مطلع السبعينات وما بعد، خفت صوت حركة التقريب وقل تأثيرها بارتحال زعمائها او انزوائهم عن الحياة.

المصدر : رسالة التقريب العدد ٩٢